

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ 2013/8/23

بَيَانٍ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنَزَّهِ بِذَاتِهِ عَنِ إِشَارَةِ الْأَوْهَامِ، الْمُقَدَّسِ بِصِفَاتِهِ عَنِ إِدْرَاكِ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ، الْمُتَّصِفِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ قَبْلَ كُلِّ مَوْجُودٍ، الْبَاقِي بِالنُّعُوتِ الْأَبَدِيَّةِ بَعْدَ كُلِّ مَحْمُودٍ، الْقَدِيمِ الَّذِي تَعَالَى عَنِ مُمَائِلَةِ الْحَدَثَانِ، الْعَظِيمِ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنِ مُمَاسَةِ الْمَكَانِ، الْمُتَعَالِي عَنِ مُضَاهَاةِ الْأَجْسَامِ وَمُشَابَهَةِ الْأَنَامِ، الْقَادِرِ الَّذِي لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالتَّكْيِيفِ، الْقَاهِرِ الَّذِي لَا يُسْتَعْلَى عَنْ مَا يَفْعَلُ، الْعَلِيمِ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنَ شِفَاءً لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَدَّتْ عَلَيْهِ الْفَصَاحَةُ رِوَاقَهَا وَشَدَّتْ بِهِ الْبَلَاغَةُ نِطَاقَهَا الْمَبْعُوثُ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْحُجَجِ النَّيِّرَاتِ، الْمُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ رَحْمَةً لِلنَّاسِ وَعَلَى ءَالِهِ وَصَحَابَتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٣) ¹.

إِحْوَةَ الْإِيمَانِ رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ "جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتْلُو عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ² حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفْتَهُمْ قَالَ فَجَعَلَ يَتْلُو بِهَا وَيُرَدِّدُهَا".

¹سورة الطلاق

²سورة الطلاق

والتَّقْوَى مَعْنَاهَا أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ كُلِّهَا وَاجْتِنَابُ الْمَحْرَمَاتِ كُلِّهَا وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُنَجِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ³ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أَيُّ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، فَالتَّقْوَى سَبَبٌ لِلْفَرَجِ مِنَ الْكُرْبَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَبَبٌ لِلرِّزْقِ وَلِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى أَمَّا الْمَعَاصِي فَهِيَ سَبَبٌ لِلْحِرْمَانِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ فَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَأَبْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ إِنْ قَالَ بَعْضُهُمْ فَيُحْرَمُ مِنْ نِعَمٍ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَحْوِ صِحَّةٍ وَمَالٍ أَوْ تُمَحُّقِ الْبَرَكَةِ مِنْ مَالِهِ أَوْ يَسْتَوِلِي عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ وَقَدْ يُدْنِبُ الدَّنْبَ فَتَسْقُطُ مَنْزِلَتُهُ مِنَ الْقُلُوبِ أَوْ يَنْسَى الْعِلْمَ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ إِنِّي لَأَعْرِفُ عُقُوبَةَ ذَنْبِي مِنْ تَعْيِيرِ الزَّمَانِ وَجَفَاءِ الْإِخْوَانِ.

فَلَا تَتْرُكْ أَحْيَا وَاجِبًا مَهْمَا كَانَ وَلَا تَأْتِ مَعْصِيَةً مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً أَوْ كَبِيرَةً وَلَا تَحْشَ فِي ذَلِكَ تَعْيِيرَ الزَّمَانِ بَلْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أَيُّ فَهُوَ كَافِيهِ، وَالتَّوَكُّلُ أَيُّهَا الْأَحِبُّ مَعْنَاهُ الْإِعْتِمَادُ بِالْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ وَحَدَهُ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ وَسَائِرِ مَا يَدْخُلُ فِي الْوُجُودِ فَلَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا اعْتَقَدَ الْعَبْدُ ذَلِكَ وَوَطَّنَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ وَأَدَامَ ذِكْرَهُ كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى اللَّهِ فِي أُمُورِ الرِّزْقِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْمَضَارِّ وَاجْتَنَابِ اللُّجُوعِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الضَّيْقِ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ⁴ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو حِمَاصًا أَيُّ تَخْرُجُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَلَيْسَ فِي بَطُونِهَا أَكْلٌ وَتَرْوُحُ بِطَانًا أَيُّ وَتَرْجِعُ إِلَى أَعْشَاشِهَا وَقَدْ امْتَلَأَتْ بَطُونُهَا.

³تفسير الطبري

⁴رواه ابن ماجه والحاكم كذلك

والتَّوَكُّلُ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ لَا يُنَافِي الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْسِلْ نَاقَتِي وَاتَّوَكَّلْ أَيُّ هَلْ أَتْرُكُ نَاقَتِي مِنْ غَيْرِ أَنْ أُرِطَهَا وَاتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ اعْقِلْهَا أَيُّ ارِطْهَا وَتَوَكَّلْ وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ سَيِّدِ الطَّائِفَةِ الصُّوفِيَّةِ الْجَنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ "لَيْسَ التَّوَكُّلُ الْكَسْبُ وَلَا تَرْكُ الْكَسْبِ، التَّوَكُّلُ شَيْءٌ فِي الْقُلُوبِ".

فَجُمَلَةُ التَّوَكُّلِ تَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّقَّةُ بِهِ مَعَ مَا قُدِّرَ لِلْعَبْدِ مِنَ التَّسَبُّبِ أَيُّ مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ وَنَقَلَ الْبَيْهَقِيُّ⁵ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ "اكَتَسِبَ ظَاهِرًا وَتَوَكَّلَ بَاطِنًا، فَالْعَبْدُ مَعَ تَكْسِبِهِ لَا يَكُونُ مُعْتَمِدًا عَلَى تَكْسِبِهِ وَإِنَّمَا يَكُونُ اعْتِمَادُهُ فِي كِفَايَةِ أَمْرِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(٣) ﴿٦﴾ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ أَيُّ يَقْضِي مَا يُرِيدُ⁷ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا أَيُّ أَجَلًا وَمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَلَا يُقَدَّمُ وَلَا يُؤَخَّرُ⁸ فَالْمَيِّتُ قِتْلًا وَالْمَيِّتُ بِسَبَبِ صَدَمَةِ سَيَّارَةٍ وَالْمَيِّتُ عَلَى فِرَاشِهِ كُلُّ مِنْهُمْ مَيِّتٌ بِأَجَلِهِ وَكُلُّ مِنْهُمْ مَيِّتٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ لَا أَحَدٌ يَمُوتُ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي قَدَّرَ لَهُ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ فِيهِ قَالَ تَعَالَى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤) ﴿٩﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^{١٠} وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

⁵شُعَبُ الْإِيمَانِ

⁶سورة الطَّلَاقِ : آيَة ٣

⁷زاد المسير

⁸زاد المسير

⁹سورة الْأَعْرَافِ : آيَة ٣٤

¹⁰سورة الْحَدِيدِ : آيَة ٢٢

مُشِيدَةً ﴿١١﴾ وفي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ النُّطْفَةَ تَكُونُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى حَالِهَا لَا تَغَيَّرُ فَإِذَا مَضَتْ الأَرْبَعُونَ صَارَتْ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً كَذَلِكَ ثُمَّ عِظَامًا كَذَلِكَ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُسَوِّيَ خَلْقَهُ بَعَثَ إِلَيْهَا مَلَكًا فَيَقُولُ الْمَلِكُ الَّذِي يَلِيهِ أَيُّ رَبِّ أَدَّكَرٌ أَمْ أَنْثَى أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ أَقْصِيرُ أَمْ طَوِيلُ أُنَاقِصُ أَمْ زَائِدٌ فُوتُهُ وَأَجَلُهُ أَصْحِيحٌ أَمْ سَقِيمٌ قَالَ فَيَكْتُبُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَفِيمَ الْعَمَلِ إِذَنْ وَقَدْ فُرِعَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَالَ اعْمَلُوا فَكُلُّ سَيُوجِّهُ لِمَا خُلِقَ لَهُ اهْدِ إِلَى الْمَالِ وَالْعَاقِبَةُ مَحْجُوبَانِ عَنَّا وَأَعْمَالُنَا عِلَامَاتٌ عَلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ حَالُ الشَّخْصِ مِنَّا لَكِنَّ الخَاتِمَةَ مَحْجُوبَةٌ عَنَّا فَأَبْدُلْ أَحْيِ جَهْدَكَ وَجَاهِدْ نَفْسَكَ فِي عَمَلِ الطَّاعَةِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلَا تَتْرُكْ بَدَلَ الجُهِدِ مُعْتَمِدًا عَلَى عَفْوِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ فَإِنَّ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ خَيْرًا فَأَحْمَدِ اللَّهَ وَاتَّبِعْ عَلَيْهِ وَأَزِدْ مِنْهُ وَإِنْ وَجَدْتَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَصْلِحْ مِنْ حَالِكَ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ وَقَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ عِنْدَمَا لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

اللَّهُمَّ حَسِّنْ أَحْوَالَنَا وَأَخْنِمْ بِالصَّالِحَاتِ أَعْمَالَنَا وَأَجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ الْغَانِمِينَ فِي الآخِرَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦).¹² اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢).¹³ اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَءَامِنْ رُوعَاتِنَا وَكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ

¹² سورة الأحزاب

¹³ سورة الحج